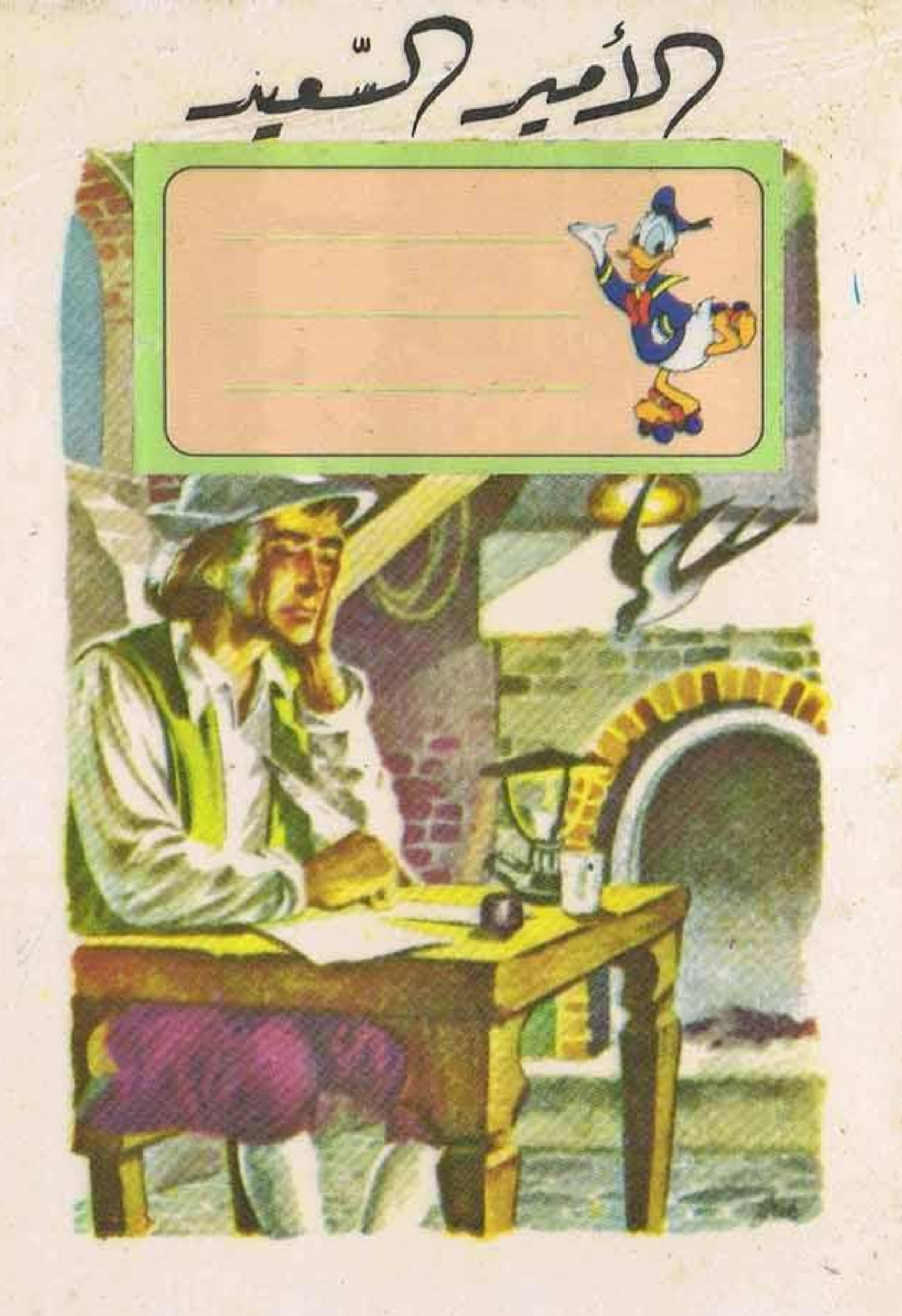


١

سلسلة الرّياض الزاهرة

منشورات مكتبة سمير

تلفون : ٤٤٦٠٨٥ - ٤٤٨٧٩٩ - ٤٨٢٥٤١/٢
تلكس : ٤٠٤٠٥ SAMIR LE ، بيروت ، لبنان

سلسلة الرّياض الزاهرة

الأمير السعيد

مقتبسة عن الانكليزية

بقلم
مخايل صوايا

منشورات مكتبة سمير
تلفون: ٤٤٦٠٨٥ - ٤٤٨٧٩٩ - ٤٨٢٥٤١/٢
تلكس: ٤٠٤٠٥ SAMIR LE ، بيروت ، لبنان

السنونو

على ذروة ربوة صغيرة ، حيث القصور وبروج المدينة ، أُقيم تمثال الأَمير السعيد .

ولقد اكتسى ذلك التمثالُ باوراقٍ من ذهب ورصعَتْ قبضةُ سيفه بعينين لامعتين من ياقوت أَزرق وأَحمر .

يتراءى من أَعلى قاعدته مثل حارس ساهر على مدينته المحبوبة .

في ذات يوم ، مرَّ سرب من السنونو في سماء المدينة ، وبعد هنيهة جاءَت واحدة من السرب

وحطّتْ على قدمي الأَمير. لقد أَجهدَ جَنَاحيها الطَيران الطويل. فالتمستِ الراحة تاركةً سربها يُتابعُ سفرَه إلى أَقاصي البلاد الأَفريقية.

قبلما هجرت عُشَّها القديم راحت تودِّع أَصدقاءَها عصافير الدُّوري وسائر العصافير المغرِّدة، والأَشجارَ المُورِقة عند استقبال الفصل الجميل، وهي تنشر أَغصانها العارية مثلَ أَذرع قد امتدت لتودع الوداع الأَخير.

وفكَّرت السنونو قائلة:

— يا للحَظِّ السعيد! لقد عثرتُ على عُشٍّ كُلُّه من الذهب أَبيت فيه ليلتي.

ثُم أَحنت رأْسها الصَّغير، وطوت جناحيها، وأَغمضَت جفونها لتنام. كان النعاس قد استولى عليها لما شعرت بقطرة ماءٍ تسقط على ريشها.

ففتحت جفونها ونظرت إلى العلاء قائلةً:

— يا للعجب! إن السماءَ صافية، مرصّعة بالنجوم!

وعلى الأَثر، سقطت عليها قطرة ثانية، ثُم ثالثة...

لِمَ تبكي أَيُّها الأَمير السعيد؟

قفزت قفزتين ، مبتعدةً عن مبيتها ثُم مدت عنقها فأَبصرت عيني الأَمير مملوءتين بالدموع .

وخاطبته بنغمة مُشفِقة :

— من أَنت؟

— أَنا الأمير السعيد

— أَتبكي ، وأَنت حامل هذا الاسم؟

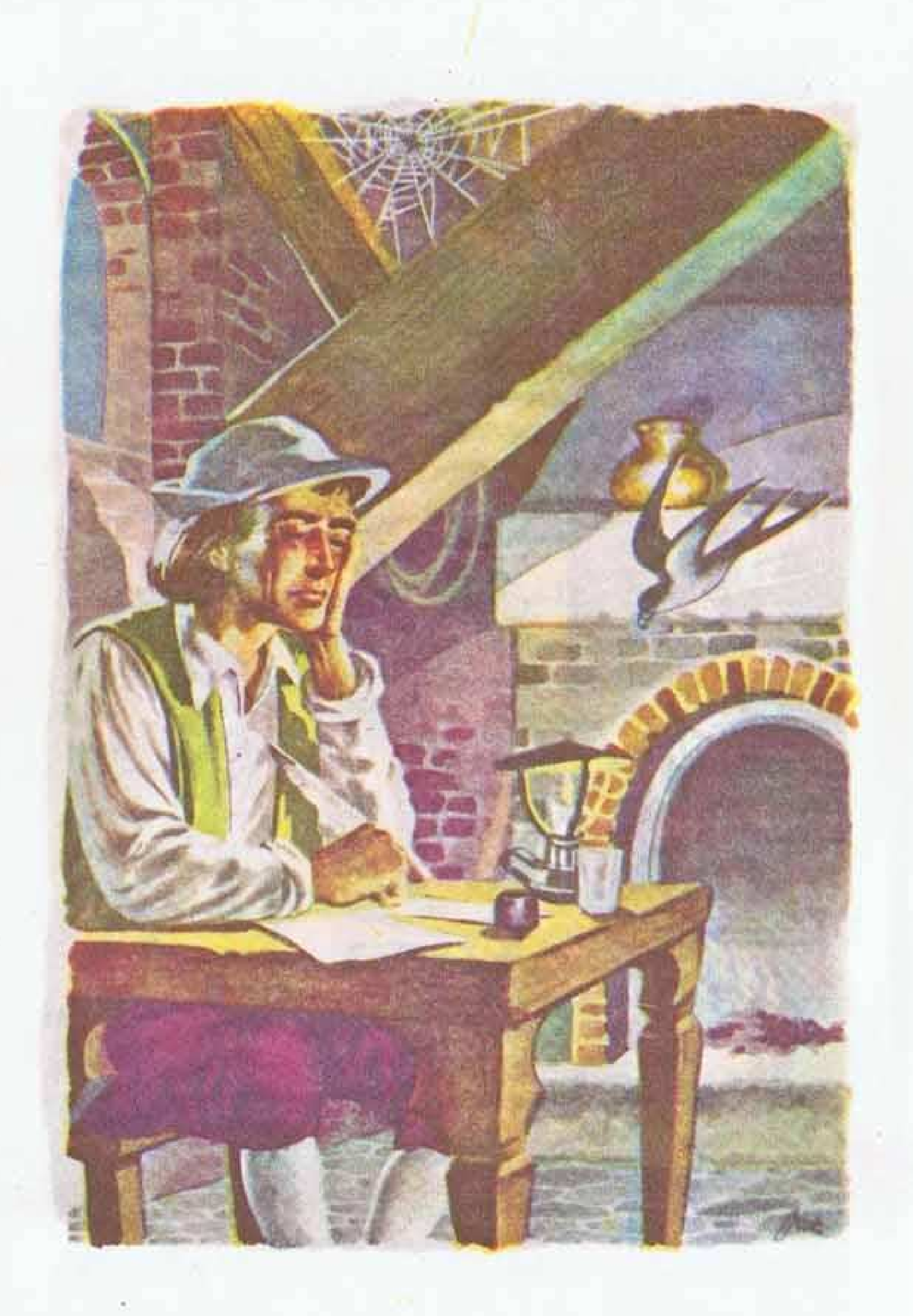
اكتسبت هذا الاسم لأنني لم أَعرف في حياتي

غير الفرح . إن جدران قصري العالية كانت تحرمني من رؤية آلام الناس . كنتُ أَقضي أَيامي في الغناء واللّهو مقتنعاً بأن حال سائر الناس مثل حالي . كان موتي هانئاً . وتخليداً لذكري أُقيمَ لي هذا التمثالُ المغطّى بِصفيحِ الذَّهب على ذُروة هذه الرَّبوة .

وهكذا تسنَّى لي أَن أَنظُرَ إلى كُلّ رُكنٍ من مدينتي الحبيبة ، فعلمت بكل ما يجري فيها . فما أَعظمَ ما رأَيتُ من الآلام والشقاء!

وسكت الأَمير ، وتناثرت دموعه بغزارةٍ حتّى غسلت وجهه الجميل .

أَجابته السنونو قائلة :



ـ لا تبكِ يا أميري الرقيق ! أنا كذلك كنت أعتقد بأنَّ الناس هم دائماً سعداءَ مثل أولئك الأَولاد الذين يمرحون في الغابات في الفصل الجميل .

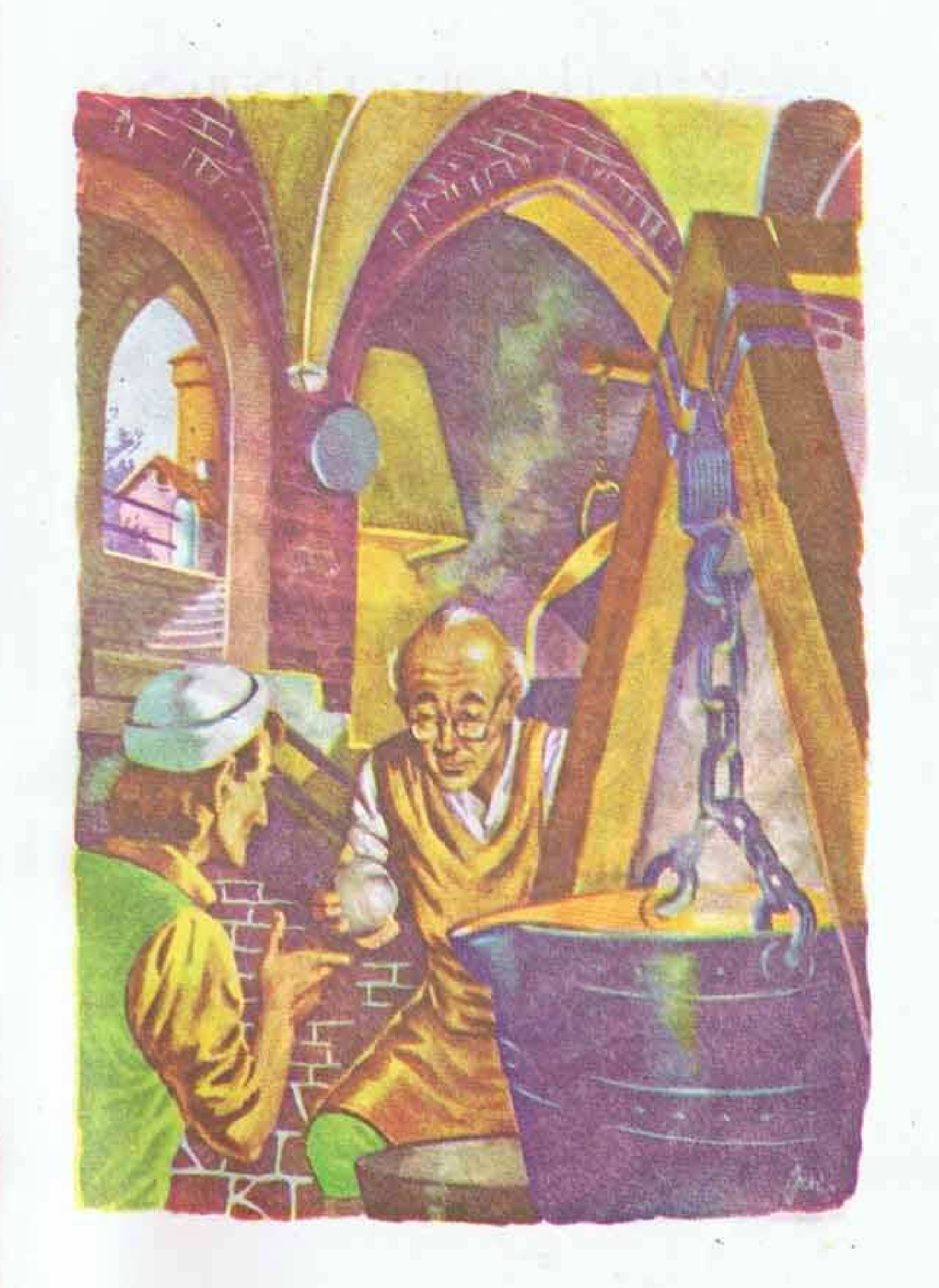
إِرفعي عينيكِ...

هتف الأَمير بصوته العذب قائلاً :

ــ إِنِّي أَراك كريمة يا سُنُونُوَتي الصغيرة الحبيبة ، هَل تريدين أَن تقدّمي لي مساعدة؟ إذن ، إِصعدي على كتفي وارفعي عينيكِ ، وانظري إِلى تلك الغرفة التي تَستَنيرُ بنورِ شمعة .

ففعلتِ السُّنونوةُ ما طلب منها الأَمير.

ــ هل رَأَيْتِها؟ هناك امرأَة مشغولة بتطريز وِشاحٍ لتلبسهُ الوصيفةُ المُفضلَةُ عند الملكة. إلى



جانبها في سريرٍ صغير طِفل يتقلَّب : إنه محموم ، يشربُ ويشرب ولا يرتوي . يريدُ برتقالة ، قد تكون آخر ما يرغب من دنياه . من الأَسف أَنَّ أُمَّه فقيرة جدًّا تعجز عن شراء البرتقالة لطفلها . أُحبُّ منكِ أَن تحملي إلى هذه المرأة حبَّة الياقوت المزينة بها قبضة سيفي .

أَجابت السنونوة :

— إنَّ هذا ليس بإمكاني . فقد أَصبح البرد قارساً ، وإذا ما تأَخرت أَكثر أَدركني الموت لا محالة . عليَّ أَن التحق بسربي الذي يحلِّق الآن فوق النيل ، باحثاً عن زهرة اللوتس النابتة على ضفتيه .

عاد الامير السعيد يخاطبها بكلام رقيق ويقول :

— أَصغي ! إِن الصغير يبكي ، ويمدُّ يديه الضعيفتين .

فعطف قلب السنونوة على الطفل الصغير فاخذت بمنقارها حبّة الياقوت ، وطارت نحو النافذةِ الخارج منها النور ، ووضعت الحبّةَ الثمينة بين يدي الطفل المحمومتين . فأَشرق وجهه بالفرح حالاً وهتف :

— ما أَجمل هذا !

وقالت الأُمُّ بصوت حنون :

— شكراً لك يا سنونوة على هذه الهدية الثمينة !

وبعد ليالٍ عديدة لم يَذُقْ فيها الطِّفلُ نوماً ، أغفي وعلى فمه الصغير ابتسام بَرِيء. حالماً بجبالٍ من الأثمار اللذيذة.

وعادت السنونوة إلى الأَمير، بهذه الكلمات :

— إني لا أُحسُّ الآن بالبرد. ان الشتاء القاسي مضى في طريقه بدون شك.

أَجاب الأَمير:

— لا ، ان الشتاء لم يمضِ ببرده القارس. لكن هذا لهيبُ المحبَّةِ يشتعل فيك ويُدفيءُ قلبكِ.

واسندَ الطائرُ رأْسهُ على خدِّ صديقه ونام.

*

ينتظر سربي في مصر

لمَّا استعدَّت السنونوة في الصباح لتطيرَ، راحَ الأمير يرجوها أن تُطيل إقامتها، فأَجابت:

—إنَّ سِرْبي ينتظرني في مصر. وقد خَرِبَ عُشِّي، وعليَّ أن أَبنيَهُ من جديد على قِمَّة أَعلى هَرمٍ لكي لا يرتعدَ صغاري من زئير الأُسودِ المتوحِّشةِ، ولا من بشاعةِ وحيد القرن الذي يخرج دائماً من النهر.

فقال لها الأمير السعيد:

—إرفعي عينيكِ، وانظري إلى هذا الشاعرِ الشابِّ، الشاحبِ الوجهِ منحنياً على أَوراقه. إنه بحاجة إلى الكتابة ليكسبَ رزقهُ؛ الأَفكار متيّسرة لديه، غير أَنَّ البَرْدَ والجوع جَمَّدا قلمه بين أَصابعه. خُذِي حبَّةً من الياقوت الأزرق من عينيَّ وضعيها بين يديه:

أَجابتِ السنونوة باكية:

—لَن أَفعلَ هذا أَبداً، أبداً! فكيف أَجدُ الشَّجاعة على أَن اصيِّرك أَعور؟

—اصنعي ما أقول لكِ!

فاقتلعتِ السنونوة، وهي ترتجف من التَّأثرِ،

حبَّة الياقوت الأَزرق من إحدى عيني الأَمير ، وطارت نحو بيتِ الشاعر. وبدون أن تُحْدِثَ أَيَّ صوْت انسلَّتْ من المدخَنة فدخلت إلى غرفته وأَلقتِ الياقوتةَ في كأْس فارغة .

وقعت عين الشاعر على الحجر الثمين عندما نهض عن كرسيِّه ليذهبَ فيرتَمي على فراشه الحقير.

فحدَّث نفسه قائلاً :

— مَن هذا الذي خطَرْتُ في باله ؟

وأَسرع يبحث عن نُزُلٍ أَو مطعم يشبع فيه جوعه. كان سروره عظيماً ، فقد صارَ ينظرُ إلى نهاره شبعانَ لا يرى فيه صورة الجوع .

بيَّاعة علب الكبريت الصغيرة

في الغد الباكر ، عاد الامير يرجو من السنونوة ان تبقى عنده بعضَ الوقت أَيضاً .

فاجابت :

— تراني أَيُّها الأَمير أَرتجفُ من البرد ، وأَشعرُ بأَلم في قائمتيَّ ، وثقل في جناحي. صارَ الثَّلجُ قريباً والأُفق ماجَ بالأَحمر ، والنخيل في مصر تضجُّ فيه الريح ، حتَّى التماسيح الكسالى قد ابتعدت سابحة نحو الجنوب. فاذا لم أُسافر الآن ، فلن تبقى لي قوة أَن أَقوم برحلة طويلة كهذه .

—أما ترينَ في السَّاحة، هذه البُنية النحيلة في ثوبٍ مهلهل، تضعُ طبقاً من (الكرتون) على ركبتيها، وعليه بضع عُلَبِ كبريت، وبدون انتباه سقطت هذه العلب في حفرة ملأى بالماء. لم يبقَ لها أَمل بأَن تعرضها للبيع بعد الآن. انها تبكي خوفاً من الضربِ الذي ينتظرها حين تعود إلى البيت. اقتلعي الياقوتة الزرقاء الباقية لي، وخذيها إلى البنيَّة الفقيرة.

فصرخت السنونوة في لوعة قائلة:

—هذا لن يكون أبداً، كيف أَقبلُ أَن أصيّرك أعمى!

أجاب الأمير:

—اذا كنت تحبينني حقاً، فلا ترفضي ان تُقبلي على هذه التضحية من أَجلي.

فأطاعتِ السنونوة أَمر الأمير، وبعد قليل أَلقت الحجر الثمين على ركبتي البنيَّة، بائعة علب الكبريت، فما كادت تراها حتَّى تهللت بالفرح. وأَخذت تقلِّبها بين أَصابعها وتنظر إليها بعينين لامعتين، واذَّاك مرّت بها سيّدة، فلامست وجهها بلطف قائلة:

—مَن أَعطاك هذه الياقوتة؟

—هبطت عليَّ من السماء.

بهذا أجابت البنيَّةُ، وشعاعٌ من نورٍ ذكيٍّ انبعث من عينيها، فأثَّرَ في السيِّدة الطيِّبة. فقالت لها:

—والآن يا بُنيَّتي، ما تريدين أن تصنعي بها؟

—لا أدري يا سيّدتي. إن العجوز التي تأويني في بيتها على سبيلِ الإحسان قد تأخذها مني. آهْ! خطرت لي فكرة: سأُخبِّئها في قبر أمي...

—قولي لي يا صغيرتي! أتحبين أن تذهبي إلى المدرسة مع البُنيَّات اللَّواتي من عمرك، فتتعلَّمي وتلعبي مسرورةً؟

—لكن، عليَّ أن أبيع عُلبي هذه!

—لا. أنا مَن يدفَعُ عنك رسم المدرسة، الداخلية.

عندئذٍ هتفت الفتاة الصغيرة:

—إذن، لكِ أُعطي هذا الحجر الثمين يا سيدتي!

ومدَّت بائعة علب الكبريت يدَها بالياقوتة بحركة طبيعيَّة بريئة، وعينين تلمعان بالفرح والشكران.

—لا يا بُنيَّتي، سوف تبقى لك، وعليكِ أن تحتفظي بها. ستساعدُك في يومٍ من الأيَّام أن تقومي بدورك بعمل الخير.

لن أتركَكَ أبداً

لمَّا عادتِ السنونوة، قال لها الأمير:

— كنتُ أُحبُّ منك أَن ترفعي هذه الأَوراق الذهبية التي تغطيني، واحدةً واحدة، وان تقدِّميها لاخواني الفقراء. لكن، عليك أَن تسافري، فالبرد قارس، وعشُّكِ ينتظر. فاذا لم تذهبي لتضعي بيضك، فلن تكون لك فراخ في الربيع.

أَجابت السنونوة:

— أما الآن، وقد أَصبحت أَعمى يا أَميري الحبيب، فإني لن أَتركك أَبداً.

وراحت في الأَيّام التالية، تنتزع بمنقارها الصغير، أكثر الأَوراق الذهبيَّة الرقيقة التي كانت تكسو التمثال، وتحملها الى أكواخ الفقراء، حيث الخبز الذي يغذي الأَطفال كان قليلاً نادراً.

وكانت في ساعات الراحة، تقصُّ على الأَمير حكايات رحلاتها الطويلة، فتخبره عن البحار التي لا نهاية لها وعن استراحاتها على صواري المراكب، حيث تُريح جناحيها المتعَبينِ من الأَسفار الطويلة؛ وتصف له ما كان يُصيبُها

من الخوف، من النسور الكواسر، حين تَمرُّ فوق الجبال العالية.

وكان الأمير يصغي اليها مأخوذاً بحديثها، مشرق الوجه بالفرح.

— إنَّ الدنيا تشبه دائماً جنَّةً مزهرة، عند الذين لا يعرفون الجوع. طيري فوق مدينتي الحبيبة. وخذي ما بقي من أوراقي الذهبية، فقد تجدين من يكونون في حاجة إليها.

الجندي الصغير والعجوز الفقيرة

كانت السنونوة تطيع أَمر الأَمير في الحال.

وفي ذات مساءٍ، بينما كانت تحوم طائرة فوق أَحد المعابد في ساعة الغروب، أَبصرت جنديّاً في مطلع الشباب جالساً على درج هناك، ضامّاً رأْسه بين يديه؛ وكان يبكي مناجياً أُمَّه، وكأَنَّها حاضرة أَمامه.

— ما أَعظَم شوقي إليكِ يا أُمي الحبيبة! قبلة واحدة منك أكتني بها لأَمضي إلى إتمام واجبي.

حاولت أَن أوفِّر المال الضروري للسفر، لكني لم أتوصَّل إلى غايتي.

وبغتةً، سقطت في قبعته الموضوعة على إحدى ركبتيه، وُرَيْقَةٌ ذهبيَّة. فأخذها الجنديُّ الشابُّ بحركة مُتَعَجِّب، ثُمّ توجَّهَ نحو ثُكنته ليطلُبَ إجازة قصيرة.

وفي ذات صباح، كانت السنونوة قد حَطَّت على مزرَابِ كوخٍ حقير، فأَبصرت عجوزاً فقيرة منحنية الظهر، مارّةً في الشَّارع يرافِقُها كلب صغير، وكانت تخاطبه قائلة:

— يا حسرتي عليك يا رفيقي الصغير الأَمين!

لقد آن الأَوان أَن نفترق. ما من أَحد يمدُّ إلينا يد المساعدَة. لم يبقَ لي إلاَّ أَن أَصل الماوي لئلاَّ أموت جوعاً. من تراه يفكر فيك عندما تُصبح وحيداً؟

حينئذٍ، سقطت ورقة كبيرة من ذهب على قدميها. فانحنت تلتقطها هاتفة:

— شكراً لكِ أَيتها السنونوة اللطيفة!

وعادت مع كلبها في الطريق المؤدِّية إلى غرفتها الصغيرة، حيث تستطيع أَن تقضي باقي أَيَّامها.

* * *

وداعاً أيُّها الأمير السعيد

لم يكن قد بقي إلاَّ ورقة ذهبية واحدة لم تنسلخ بعد عن تمثال الأَمير. وكانت السنونوة تقضي اصفى أوقاتها على مقربة منه.

ولمَّا لم يبقَ عندها شيء تحكيه له ، أَخذت تقوم بدورات فوق المدينة ، غير أَنَّها كانت بين فترة وفترة تفتش عن مكانٍ تُحطُّ عليه ، لأَنها بدأَت تشعر بالتعبِ وتتألَّم من البرْد.

— هل عرفت؟ إنَّ الولدَ الذي أَعطيته

الياقوتَةَ الحمراءَ قد شَفي وتعافى ، رأَيتُهُ اليومَ يلعبُ مسروراً بطابات الثلج ويقذفُها بعيداً . آه ، لو رأَيْتَ كيف صار قويّاً ! وأَبصرت الشاعر يلبس معطفاً جديداً ويجلس في المقهى . والبارحة سمعت بائعة علب الكبريت تنشدُ الأَناشيد العذبة بصوت ملائكي ، ووجهها يُشرِق بالفرح .

ورأَيت أَيضاً المرأَة العجوز خارجة من عند الجزَّار ، تحمل صرة صغيرة لها وصرة كبيرة لكلبها .

وظلَّت الرسول السمراءُ تطير من هنا إلى هناك وتعود الى صديقها العظيم بالأَخبار الطيِّبة .

وفي ذات ليلة ، بعدما غاب القمر ، شعرت السنونوة بقرب موتها فتمتمت للأمير :

ـــ أَحبُّ أَن أُقبلك قبلة.

ـــ هل أَنت على سفر؟ تريدين السفر إلى مصر؟

ـــ لا ، بل إني مسافرة إلى بلد أَبعد بكثير ، إلى بلد لن أَعود منه أَبداً.

ـــ أَنا أيضاً سأَذهب ، لا أَقدر على البقاء بعيداً عنكِ.

ـــ سأرسل إليك أُلوفاً من طيور السنونو

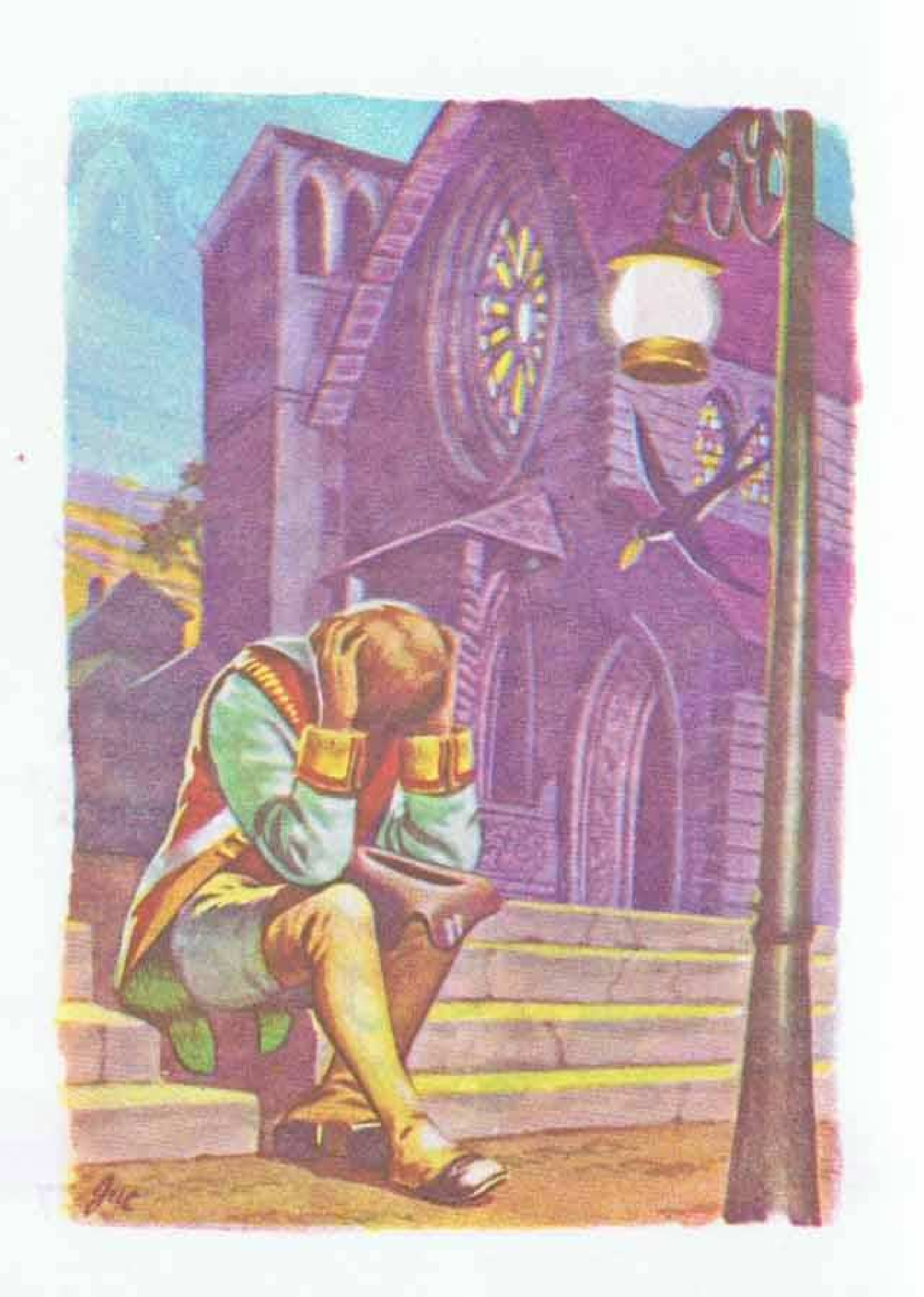
تبحث عنك. لا تخف! ووداعاً أَيُّها الأَمير السعيد!

وأحنت رأْسها الصغير الأَسمر ، وسقطت على قدم التمثال.

في تلك اللحظة سُمِعَ صوت أَصمٌّ من داخل التمثال: إن قلب الأَمير المصنوع من الرصاص تحطَّم.

وفي غدِ ذلك اليوم مرَّ محافظ المدينة ، وحوله أَربعة مستشاريه أَمام التمثال ، وقد تجرَّد من عينيه ومن أُوراقه الذهبية ، فاذا هو مقفر أَغبر.

فوقفوا ينظرون إليه قائلين:



— ما للأمير السعيد يبدو هكذا حزيناً ؟

ونظروا إلى أسفل ، فرأوا طائراً صغيراً مائتاً على قدميه ...

في اليوم التالي أُقتُلِعَ التمثالُ وَحُمِلَ إلى المِصهر حيث حولته النار الحامية إلى سائل ، إلاَّ قلبَه المحطَّم ، فانه لم يتأَّثر بشيء .

— الله وحده يعلم لِمَ لَمْ يَنْصهِر هذا القلب الرصاصي .

قال المثَّالُ هذا ، ورماه أَخيراً على كومة من الأَقذار حيث كان الطائر الميت .

ملكة الجن

قالت ملكة الجن يوماً لجِنيٍّ من أتباعها :

—انزل إلى المدينة وَعُدْ إليَّ بأثمن شيئين فيها .

فأطاع الجنيُّ أمر الملكة وعادَ حاملاً بيديه الصغيرتين قلب الأمير المُحَطَّم والسنونوة الميتة

فابتسمت الملكة قائلة :

—أحسنتَ اختياراً أَيُّها الجِنيُّ اللطيف !



فالأمير والطائر الصغير ليس من الحق أن يفترقا. لِنتذكَّر أَنَّ السعادة قد تكون أَحياناً في منقار طائر صغير.

* * *

الأسئلة

١ ــ صف التمثال الذي اقيم على ذروة ربوة صغيرة.

٢ ــ من اين كانت تأتي قطرات الماء، ولماذا؟

٣ ــ ماذا طلب الأمير من السنونوة ان تفعل؟

٤ ــ لماذا لم تحس السنونوة بقسوة البرد؟

٥ ــ هل ضحى الامير والسنونوة بحياتهما لاسعاد الاخرين وكيف؟

٦ ــ كيف كانت نهاية كل واحد منهما؟

٧ ــ ما هي العبرة التي تستطيع ان تستخلصها من هذه القصة؟

٨ ــ هل هذه القصة واقعية ام خيالية؟

٩ ــ لخص ببضعة اسطر الواقعة التي لفتت انتباهك؟

الأمير السّعيد

